"النهار" في رحلة الحج الى مكان الرسل الأوائل
انطاكية العهد الجديد للألفية الثالثة
ونداء البطريركين للتعاون السلمي ووحدة الكنائس

غادر البطريرك اغناطيوس الرابع كرسيه في انطاكية، وعاد الى "سائر المشرق" منتصف ليل الاربعاء – الخميس من بوابة بيروت الجوية، بعد يومين من الاحتفالات الروحية الفاصلة بين الفي عام من المسيحية وعهد انساني جديد للألف الثالث المنتظر.

انه عهد انتهاء النزاعات العقائدية التي اعتبرت فيها كل جماعة دينية نفسها وحدها على حق، وانطلاق "حضارة الوجود الانساني التي تؤمن بالله الخالق، وتقبل الانسان، كل انسان، بالكرامة التي اعطاه اياها الله"، بحسب ما ورد في كلمة البطريرك اغناطيوس الرابع للمؤمنين في احتفالات عيد القديسين بطرس وبولس الاثنين والثلثاء الماضيين في انطاكية، بالاشتراك مع البطريرك المسكوني برتلماوس الاول القائم على كرسي الرسول اندراوس، وبطريرك الارمن الارثوذكوس في تركيا مسروب موتافيان والقاصد الرسولي الكاردينال رويني ممثلا البابا يوحنا بولس الثاني ولفيف من المطارنة والكهنة وحشد من السكان المسيحيين في انطاكية ولواء الاسكندرون، وحجاج من سائر الابرشيات.

هناك، في انطاكية، على مقربة من الصخرة المهيبة التي بنى فيها الرسول بطرس كنيسته الاولى داخل الصخرة اطلق الرؤساء الروحيون الكبار العهد الجديد للألفية الثالثة بناء على ما كان عليه الرسل وتلاميذ المسيح من خلال رسائلهم وكتاب "أعمال الرسل"، وحسب ما عرضها البطريرك برتلماوس الاول في كلمته للمؤمنين عشية العيد: "المحبة، الايمان، الامل، النشاط، أعمال الخير، النظام، الاحترام، الشرف، السلام، التعاون مع من حولنا بغض النظر عن الانتماءات الدينية".

وايضا "التجدد، التجلي، التحسين المتواصل، المعركة الصالحة، الصلاة بلا ملل، التفكير الحكيم، تجنب تضخيم الافكار غير المنطقية، والبقاء أمناء على تقليد الرسل الاوائل الذي تجلى في انطاكية في القرن الاول للمسيحية".

ومما قاله الكاردينال رويني: "نأتي الى هنا كحجاج من بعيد من روما لنشهد لايماننا هذه المرة على ما كان عليه ايمان الجماعة المسيحية الاولى. ان ابانا المشترك يوحنا الذهبي الفم الذي كان راعيا لهذه الكنيسة وبطريركا على القسطنطينية لاحقا ذكّرنا ان هذه الجماعة كانت تتغذى بالمحبة "وعبر المحبة نصل الى الحقيقة"، هذه هي الطريق التي سلكها بطرس وبولس واندراوس ونحن عليها سائرون".

وورد في البيان المشترك باللغة الانكليزية الذي وجهه البطريركان برتلماوس الاول واغناطيوس الرابع الى المؤمنين في العالم:

"نشكر الله الآب بكل جلال على تجسد ابنه وكلمته قبل الفي عام الذي دل ان مشيئة الله لكل الناس: السلام على الارض. ولسوء الحظ لا نزال ننتظر السلام لان البشرية لم تتقبل بشارة السلام.

نحن معا نتضرع بحرارة الى الله ان يمنح السلام والتعاون للبشر.

وايضا نوجه نداء الى كل شعوب الارض الحسني النية للعمل من اجل تعاون سلمي وحل الخلافات البشرية بالوسائل السلمية. ونتوسل المسيحيين المؤمنين رفع الصلوات الى الله من اجل وحدة الكنائس.

ونعبر مرة جديدة عن العلاقات الممتازة بين بطريركي القسطنطينية وانطاكية، وتعاونهما السلمي لقرون طويلة. ونحيي شعب الله وندعوه الى التوبة وحياة متوافقة تماماً مع الانجيل لاننا بهذه الطريقة نقدم المحبة للمخلص المسيح التي اعطانا اياها من خلال تجسده وتقديم ذاته ذبيحة عن كل العالم".

الجو الاحتفالي

ساد الجو الاحتفالي العام مدينة انطاكية رغم ان المسيحيين فيها لا يشكلون الا جزءاً ضئيلاً من سكانها بسبب الهجرات المتتالية وخصوصاً في حروب هذا القرن.

استقرت الهجرات القديمة في اميركا اللاتينية، والحديثة في المانيا وفرنسا، فضلاً عن لبنان وسوريا.

ولا يتجاوز عدد المسيحيين الاورثوذكس ١٥٠٠ شخص في انطاكية. ولا اكثر من ١٠ آلاف اورثوذكسي في الكنائس الاورثوذكسية في مدن لواء الاسكندرون وبلداته، وكنيسة مرسين خارج اللواء.

وعدد الكنائس العاملة هناك ٨ كنائس اورثوذكسية. اما الحضور المسيحي من باقي الطوائف فلا يتجاوز الـ٥٠٠ شخص بين روم كاثوليك ولاتين وبروتستانت.

تشكو الكنيسة عموماً هناك من غياب حضور الشباب والجيل الجديد بسبب حاجز اللغة لأن غالبيتهم لا تتحدث اللغة العربية بل التركية. لذلك يرى البطريرك اغناطيوس الرابع ان الحل هو بتتريك القداس وممارسة الصلوات المختلفة باللغة التركية والاشراف على ترجمة كل ما يلزم للكنائس من كتب صلوات وقداديس.

مثل الامر الحاصل في ابرشيات الاغتراب. ففي الولايات المتحدة يقيمون القداديس بالانكليزية، وفي اميركا اللاتينية بالبرتغالية...

الجو الاحتفالي العام كان مقبولاً من السلطات السياسية التركية في انطاكية، بل مرحباً به، وحضر محافظ المدينة غوكمان ايدنير ورئيسة البلدية اريس شانتورك الصلوات عشية العيد. ومما قاله المحافظ للرؤساء الروحيين: "نرحب بكل الذين اتوا للحج عندنا او سيأتون لاحقاً. واذا كانت الفنادق لا تتسع للجميع فبيوتنا مفتوحة".

وفي احتفالات تدشين القاعة الجديدة للكاتدرائية واطلاق برنامج الألفية الثالثة من انطاكية، ألقى رئيس مجلس ادارة اوقاف الكاتدرائية (المعروف باسم رئيس الجمعية ويتم انتخابه كل سنتين وفق قوانين تركية ويحضر الانتخاب مندوب عن السلطة السياسية) السيد جوزف ناصح كلمة جاء فيها "ان انسان اليوم لا يكتفي بمعارفه ومعلوماته بل يقوم بسرعة لتجديد نفسه امام الاحوال والشروط المتغيرة ضمن اطار من الحرية والسلام والانسانية وحسن النية. وهو في اثناء تجديد نفسه يمد يد المساعدة والمساهمة الى مجتمعه، ويسعى الى التوافق مع عادات المجتمع العصري".

واضاف "ان الايمان والثقافة من العوامل الاساسية لتحقيق السلام العالمي، والخلط بين الحقوق الدينية وحقوق الانسان جعل تحقيق السلام صعباً في المجتمعات الصغيرة".

ودعا الى الفصل بين الحقوق الدينية وحقوق الانسان "ولا يقوم هذا الا من جانب رجال الدين من خلال تربيتهم اجيالاً تؤمن بالحرية والعلم وحسن النية".

الانسان قبل العقيدة

يبدو ان انطاكية اليوم مقبلة على هذا العصر الجديد من الحضارة المسيحية الواقعية. وهو الامر الذي سيحافظ على المسيحية في الشرق ويطلقها مجدداً.

وقد بلغ البطريرك اغناطيوس الرابع مرحلة متقدمة في هذا الرأي اطلقه في مؤتمره الصحافي في فندق انطاكية الكبير مساء الثلثاء قائلاً ان "الانسان قبل العقيدة". واوضح "نحن في حاجة الا نعطي الناس أوهاماً او انصاف حقائق. وحق البشر علينا ان نحكي معهم ونكون صادقين معهم. وان نحاكيهم بلغتهم كما يتكلمون هم. انا ضد الانشاء في تخاطب الناس بعضهم مع بعض (...) وللكرسي الانطاكي بعدٌ مسكوني، وهي ليست محدودة بالجغرافيا. انها لمحات روحية او تيارات روحية تنطلق بلا حدود. نحن لم نتحدث ابداً من أجل الذين هم ضمن جغرافية الكرسي الانطاكي. نحن نتكلم ليسمعنا الاورثوذكسي وغير الاورثوذكسي، المسيحي وغير المسيحي. نريد ان نحكي مع كل الناس، ان نشدد على الذي صنعه الله أي الانسان. كثيرون يشددون على ما في الكتب ويطلقون حولها نظريات وننسى الانسان أمامنا. مثلاً: عيناك وما تنظر اليه، ايهما يأتي قبل الآخر؟ العينان طبعاً. ان العينين أهم من المنظور اليه. والنظر بلا حدود. فالانسان الناظر هو المهم اكثر من الأشياء التي ينظر اليها. لان المفاهيم تتغير وتتناقض ألف مرة. وهكذا اللغة الانسان القارئ الكتاب أهم من الكتاب. نريد ان نحكي بالمعقول ويكفينا نظريات ورموز. نريد حضارة الوجود. وأنا أشدد على حضارة الوجود. ان حضارة الكتاب أو حضارة النهضة الفكرية حولتنا كلنا الى أصحاب طبيعة واحدة مع اننا بشر والله خلقنا. الله خالق ولا نقول الله كاتب او مفكر. كل شيء بدأ في عملية الخلق وعلينا ان ننظر الى خلق الله ونتعامل معهم بالعقلانية لا بالرموز والنظريات. ان المدرسة الانطاكية لا تعتقد بالرمز، والكلمة تعبر عنها ببساطة وكما هي. عكس المدرسة الاسكندرية التي كانت تميل الى الفلسفة وتقول يجب ان نلجأ الى الرمزية في اللغة الافلاطونية للمثالية.

ان اسهام المدرسة الانطاكية ماضياً يتناسب كثيراً مع فكر حالي. ان نعرف الكلمة ماذا تحمل ولا نحولها فناً فكرياً".

وقال ان البطريرك المسكوني متفق معه في هذا الموضوع.

ورداً على سؤال اذا كانت لا تزال الكنيسة الانطاكية عقلانية كانطلاقتها ام دخلتها الرمزية؟ أجاب: "أنا أشكو من كثرة الرموز التي دخلتها. أنا أؤمن ان الكنيسة الارثوذكسية تحتاج الى ان تكون عملية. ان تطبيق الفكرة أهم من الفكر. وما يجمع البشر ويحقق السلام ان نكتشف بعضنا وان لكل انسان حق في الوجود".

ومن السهل الممتنع الذي بلغه البطريرك في كلامه:

"ان الله في الحساب الأخير لن يسأل الانسان – الشخص عن عقيدته بل سيسأله ماذا فعل لجاره او لاخيه. وهذا ما يقوله الانجيل وخلاصة البشار".

ومن اسئلة الصحافيين الاتراك الذين كانوا ينتظرون تكهنات مستقبلية من البطريرك، ماذا سيحصل في القرن المقبل من احداث وهل ستكون نهاية العالم في سنة ٢٠٠٠؟

فأجاب ضاحكاً: "انا لست بنبي والساعة لا يعرفها أحد حتى ابن الانسان كما جاء في الانجيل".

هذا هو الحدث الذي حصل يومي ٢٨ و٢٩ حزيران في انطاكية وسيستمر حتى نهاية السنة عبر رحلات منظمة من مختلف الابرشيات في انحاء العالم للحج الى انطاكية وكبادوكيا وافسس (حيث أقامت العذراء مريم في أواخر ايامها على الأرض. وهي مزار مهم للمسلمين أيضاً).

انه حج الى حيث انطلق الرسل الأوائل يبشرون للأمم في أصعب الظروف وأحلكها. و"العناية الالهية" التي قال البطريرك المسكوني انها ترعى المسيحيين في الشرق، تجلت منذ البدايات وتستمر ما دام الانسان هو "ازاء الآخر:" حسب ما يشدد البطريرك اغناطيوس الرابع و"الله صانعه، وجابله، خلقه مثلما خلقني وله الحق بالوجود مثلي".

مي ضاهر يعقوب